# تحليل الخطاب السياسي ودوره في بناء الهوية الوطنية
## دراسة حالة تحليل الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة

**إعداد**

**حمد عبيد الكعبي**

**رئيس تحرير جريدة الاتحاد– دولة الإمارات العربية المتحدة.**

**الملخص**

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة ودوره في بناء الهوية الوطنية، وذلك من خلال دراسة تطور الخطاب السياسي الإماراتي منذ نشأة الاتحاد حتى اليوم. تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، حيث يتم تفكيك وتحليل خطابات القادة الإماراتيين، مع التركيز على استراتيجياتهم الخطابية وأساليب التأثير والإقناع المستخدمة.

تفترض الدراسة أن الخطاب السياسي الإماراتي قد أسهم في ترسيخ الهوية الوطنية عبر التركيز على قيم الوحدة والتضامن والانتماء، مستندًا إلى استراتيجيات خطابية تجمع بين الحجاج العقلي والقوة الناعمة. ومن خلال تحليل خطابات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ محمد بن زايد آل نهيان، تستعرض الدراسة الكفايات اللغوية والتداولية التي عززت نجاح الخطاب السياسي في تحقيق أهدافه داخليًا وخارجيًا.

توصلت الدراسة إلى أن الخطاب السياسي الإماراتي الحديث قد استثمر القوة الخطابية للآباء المؤسسين بفاعلية، مما ساعد في بناء صورة إيجابية للدولة وتعزيز تأثيرها الإقليمي والدولي دون اللجوء إلى الإكراه، بل بالاعتماد على التفاهم والتسامح والقيم الإنسانية المشتركة، مما جعله نموذجًا مميزًا للقوة الناعمة في العلاقات الدولية.

**الكلمات المفتاحية:** إرث زايد، الخطاب السياسي، الهوية الوطنية، الإمارات العربية المتحدة.

**Abstract:**

This study aims to analyse the official political discourse of the United Arab Emirates (UAE) and its role in shaping national identity by examining its evolution from the establishment of the union to the present day. The study employs a critical analytical approach, deconstructing and examining the speeches of Emirati leaders, with a focus on their rhetorical strategies and persuasive techniques.

The study hypothesizes that Emirati political discourse has contributed to strengthening national identity by emphasizing the values of unity, solidarity, and belonging. It leverages rhetorical strategies that combine logical argumentation with soft power. Through an in-depth analysis of the speeches of Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan and Sheikh Mohammed bin Zayed Al Nahyan, the study explores the linguistic and pragmatic competencies that have reinforced the effectiveness of political discourse in achieving its objectives both domestically and internationally.

The findings indicate that modern Emirati political discourse has effectively capitalized on the rhetorical legacy of the founding fathers. This has played a key role in shaping a positive image of the UAE and enhancing its regional and global influence, not through coercion but through dialogue, tolerance, and shared human values—establishing it as a distinguished model of soft power in international relations.

**Keywords:** Zayed's Legacy, Political Discourse, National Identity, United Arab Emirates.

**المقدمة:**

تنوي هذه الدراسة المقتضبة التبصّر في صيرورة الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة وسيرورته من خلال البحث في ركائزه ومرتكزاته وكذا عوامل نشأته التي مرت في مرحلتين جوهريتين حملتا خطابين تمايزا تبعا لحدث تاريخي مهم ألا وهو نشوء الاتحاد بين الإمارات العربية السبع، فقد شكل الخطاب السياسي لدولة الإمارات العربية المتحدة العامل الأهم في نجاح هذا الاتحاد الميمون، فالدراسة ستعمل على تأطير هذه العوامل لتحاول تبيان الاستراتيجيات الخطابية لخطابات الشيخ زايد رحمه الله تعالى وتغمده ورصد كذلك الأمر ديمومة هذا الخطابات في عهد الشيخ محمد بن زايد حفظه الله تعالى وبيان كذلك الأمر الكفايات اللغوية والتداولية لهذه الخطابات والتي أصبحت لاحقاً من أهم مكونات إرث زايد رحمه الله تعالى، لاختبار افتراض الباحث إلى أن الخطاب الإماراتي السياسي الحديث استثمر وباقتدار القوة الخطابية التي ورثها عن خطابات الآباء المؤسسين في حقبة الاتحاد بين الإمارات العربية والذي تم بفضله هذا الاتحاد بعد إرهاصات لم يلجأ خلالها لأي قوة إكراهية جبرية، فقد شكل هذا الخطاب اللّبنة الأساس للخطاب الرسمي الحديث للدولة فهو بنيتها ومرتكزها الأول، لأنه قام على التضامن والحجة العقلية والنقلية المستلهمة من قيم إنسانية نبيلة شكلت تاليا قوة ناعمة تضاهي القوة الجبرية بل وتحقق كسباً وتأييداً لا يقل أهمية عن أي كسباً آخر.

في البداية؛ يعد تحليل الخطاب نهجًا بحثيًا يدرس استخدام اللغة بما يتجاوز مستوى الجملة للكشف عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية والنفسية للتواصل. وهو بذلك يتضمن دراسة اللغة المنطوقة والمكتوبة أو لغة الإشارة، وأنظمة العلامات الأخرى لتحليل كيفية بناء المعنى والتفاوض عليه وتمثيله في سياق معين. إذ يركز تحليل الخطاب على العلاقة بين اللغة والسلطة والهوية والمجتمع، مما يجعله أداة أساسية لفهم وتحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية المعقدة، وهو بذلك مجال بحثي متعدد التخصصات

يختلف تعريفه باختلاف الأطر النظرية والمنهجية التي يتم تبنيها. ويُعرف تحليل الخطاب عادة في الأدبيات اللغوية كدراسة للبنية اللغوية للنصوص والنطق خارج نطاق الجمل الفردية. حيث يركز هذا التعريف على تحليل كيفية تكوين المعنى من خلال السياق الذي يتم فيه استخدام اللغة، وكيفية ارتباط النصوص بالواقع الاجتماعي والثقافي.

وتاريخياً؛ يعود ظهور تحليل الخطاب إلى عمل الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو الذي اعتبر الخطابات بمثابة عبارات يتم الاعتراف بها باعتبارها ذات معنى داخل المجتمع ثم يتم إعادة إنتاجها من خلال الخطاب المذكور. وعليه؛ يمكن أن يُعتبر تحليل الخطاب قيمًا لأنه يسعى إلى تحديد كيف ولماذا تُنسب أهمية إلى "نصوص" أو أنظمة اجتماعية معينة وبالتالي يساعد ذلك على فهم العالم بشكل أفضل. إذ أن تحليل الخطاب يوفر أيضًا أداة لتحليل دور اللغة في تعزيز وإنتاج مثل هذه الأنظمة القيمية الاجتماعية والحقائق المادية. بهذا المعنى، "لا تفسر اللغة العالم بقدر ما تنتجه".[١]

ومنهجياً؛ يبدأ تحليل الخطاب عادةً بالقراءة الدقيقة وإعادة قراءة النصوص. حيث تتيح إعادة قراءة النصوص للمحلل ملاحظة التفاصيل الصغيرة والأنماط المنهجية داخل البيانات والتي يمكن أن تسلط الضوء على الأنماط والتنوع والاتساق. وبعد هذه المرحلة، من الممكن تطوير فرضيات حول كيفية عمل أشكال لغوية معينة في هذا السياق. في حين أن تحليل الخطاب مدمج في إطار نظري بنائي واسع، فإن النهج التحليلي المطبق سيختلف وفقًا للسياق المعرفي للبحث.

وتتباين الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب لعدد من الاتجاهات تتبع كلا منها منهجاً متمايزاً، ومن هذه المناهج؛ تحليل الخطاب النقدي Critical (CDA) Discourse Analysisوالذي يركز على الكشف عن علاقات القوة والأيديولوجيات

[١] R. Jakobson, "Linguistics and Poetics," in *Style in Language*, ed. Thomas A. Sebeok (Cambridge: MIT Press, 1960), 350.

المضمنة في النصوص[١]، و تحليل الخطاب الاجتماعي Sociocultural Discourse Analysis ويركز على كيفية استخدام اللغة كأداة لتشكيل الهوية والتفاعل الاجتماعي ضمن بيئات ثقافية واجتماعية معينة، ويهتم الباحثون في هذا الاتجاه بدراسة كيفية تأثير السياق الاجتماعي والثقافي في تشكيل المعاني والتفسيرات المختلفة.[٢]

وهناك أيضا تحليل الخطاب متعدد الوسائط والذي يوسع تحليل الخطاب ليشمل طرق التواصل غير اللغوية مثل الصور والإيماءات والأصوات[٣]، وكذا تحليل الخطاب التفاعلي(Interactional Discourse Analysis) ، والذي يهتم بدراسة التفاعلات اللفظية بين الأفراد في محادثات يومية أو سياقات اجتماعية. [٤]، ومن هذه المناهج أيضا تحليل الخطاب المعرفي/الذهني (Cognitive Discourse Analysis) والذي يدرس كيفية استخدام الأفراد للغة بناءً على العمليات المعرفية التي تحدث في الدماغ أثناء إنتاج وفهم الخطاب[٥]. ومن المناهج الحديثة نسبياً تحليل الخطاب الرقمي والذي يدرس التواصل عبر الإنترنت، بما في ذلك منصات التواصل الاجتماعي ورواية القصص الرقمية[٦]، وأخيراً؛ تحليل الخطاب الإثنوغرافي Ethnographic Discourse Analysisوهو نهج يدمج الأساليب الإثنوغرافية مع تحليل الخطاب لدراسة كيفية استخدام اللغة في سياقات اجتماعية وثقافية محددة.[٧]

---

[١] Wodak, R., & Meyer, M. (2009). *Methods of Critical Discourse Analysis*. Sage, p 17.

[٢] James Paul Gee, *An Introduction to Discourse Analysis: Theory and Method* (London: Routledge, 2005), 34.

[٣] Carey Jewitt, *The Routledge Handbook of Multimodal Analysis* (London: Routledge, 2014), 55.

[٤] Deborah Tannen, *Talking Voices: Repetition, Dialogue, and Imagery in Conversational .Discourse* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), 45

[٥] Teun A. van Dijk, *Discourse and Cognition* (London: Sage, 2006), 120

[٦] *André J. Krenn et al., The Digital Turn: Understanding the Impact of Digital Media on Language and Communication (Berlin: De Gruyter Mouton, 2016), 21*.

[٧] Martyn Hammersley and Paul Atkinson, *Ethnography: Principles in Practice* (London: Routledge, 2007), 45.

**الإطار العام للدراسة**

**أولاً/ المشكلة البحثية**

يعد الخطاب السياسي أداة رئيسية في تشكيل الهوية الوطنية وبناء التوجهات السياسية والاجتماعية للدول. وفي حالة دولة الإمارات العربية المتحدة، لعب الخطاب السياسي الرسمي دورًا بارزًا في تعزيز الوحدة الوطنية وترسيخ القيم المشتركة بين الإمارات السبع منذ قيام الاتحاد. ورغم أهمية هذا الخطاب وتأثيره المستمر، فإن الدراسات التحليلية النقدية حوله لا تزال محدودة، مما يثير التساؤلات حول استراتيجياته، وأدواته اللغوية، ومدى تأثيره على الهوية الوطنية والعلاقات الدولية. بناءً على ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب السياسي الرسمي للإمارات، متتبعة تطوره منذ تأسيس الاتحاد، بهدف الكشف عن مكوناته الرئيسة ودوره في بناء الهوية الوطنية.

**ثانياً/ أهمية الدراسة**

تنبع أهمية هذه الدراسة من الحاجة إلى فهم الأبعاد الخطابية التي شكّلت الهوية الوطنية لدولة الإمارات، إضافةً إلى إبراز الأساليب الخطابية للقادة السياسيين الإماراتيين ودورها في تعزيز التماسك الوطني وتقوية نفوذ الدولة إقليميًا ودوليًا. كما توفر هذه الدراسة إطارًا علميًا لدراسة الخطاب السياسي الرسمي وتحليله وفق منهجيات لغوية تداولية ومنظورات تحليل الخطاب النقدي، مما يسهم في فهم العلاقة بين اللغة والسلطة والهوية في سياق السياسة الإماراتية.

**ثالثاً/ أهداف الدراسة**

١. تحليل تطور الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات منذ نشأة الاتحاد حتى الوقت الحاضر.

٢. استكشاف الاستراتيجيات الخطابية للقادة السياسيين الإماراتيين في تعزيز الهوية الوطنية.

٣. دراسة الأبعاد اللغوية والتداولية للخطاب السياسي الرسمي وتأثيرها على الجمهور المحلي والدولي.

٤. تسليط الضوء على دور الخطاب السياسي الإماراتي في توظيف القوة الناعمة وتحقيق التأثير الإقليمي والدولي.

٥. تقديم رؤية تحليلية لأهم مكونات الخطاب السياسي الإماراتي وأثره في بناء العلاقات الداخلية والخارجية.

**رابعاً/ التساؤلات البحثية**

١. كيف تطور الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات منذ نشأة الاتحاد؟

٢. ما أبرز الاستراتيجيات الخطابية التي استخدمها القادة السياسيون لتعزيز الهوية الوطنية؟

٣. ما الكفايات اللغوية والتداولية التي ميزت الخطاب السياسي الإماراتي؟

٤. كيف وظف الخطاب السياسي الإماراتي القوة الناعمة في تحقيق أهدافه داخليًا وخارجيًا؟

٥. ما الأثر الذي أحدثه الخطاب السياسي الإماراتي في تعزيز مكانة الدولة على الصعيدين الإقليمي والدولي؟

**خامساً/ حدود ونطاق الدراسة**

- الحدود الزمانية :تغطي الدراسة تطور الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات منذ إعلان الاتحاد عام ١٩٧١ وحتى اليوم، مع التركيز على مراحل التحول الرئيسية في هذا الخطاب.
- الحدود المكانية :تركز الدراسة على الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات، مع تحليل تأثيره على الهوية

**سادساً/ تقسيم الدراسة المقترح:**

**المحور الأول/ العوامل المؤثرة في تشكيل الخطاب السياسي/ دراسة حالة تحليل الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة**

**المحور الثاني/ استراتيجيات خطاب الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه**

**المحور الثالث/ خلاصات الخطاب السياسي لدولة الإمارات وتأثيره على الهوية الوطنية.**

**الخاتمة/ دور الخطاب السياسي لدولة الإمارات في بناء الهوية الوطنية.**

---

## المحور الأول/ العوامل المؤثرة في تشكيل الخطاب السياسي/ دراسة حالة تحليل الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة

تستعرض الدراسة في هذا المقام نشأة وتطور الخطاب السياسي الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة قبيل إعلان الاتحاد، والتحولات الرئيسية التي طرأت عليه منذ ذاك التاريخ.

**١- اتّحاد الإمارات السّبع؛ بواكير الخطاب السّياسي في الإمارات:**

شهد انعقاد أوّل مؤتمرٍ اتّحاديّ موسَّعٍ في إمارة دبي عام ١٩٦٨ صدورَ أهمّ بيانٍ اتّحاديٍّ في المنطقة العربيّة والإقليم كلّه، فقد أُعلن فيه عن قيام اتّحادٍ فيدراليٍّ بين الإمارات العربيّة السّبع، وهو إعلانٌ نادرُ الحدوث في حينه، جاء في وقتٍ حسّاسٍ شهدت فيه المنطقة والعالم تقسيماتٍ سياسيةً وجغرافيةً هائلةً، لا سيّما بعد الحرب العالميّة الثّانية، وخروج الوجود البريطانيّ من المنطقة العربيّة، فقد برزت كياناتٌ سياسيّةٌ عديدةٌ مستقلّةٌ وتلاشت أخرى، على أنّ المقام لا يتّسع هنا للبحث حولها.

فقد عُدّ إعلانُ الاتّحاد بين الإمارات السّبع في الثاني من ديسمبر عام ١٩٧١م علامةً فارقة في سبيل خلق فرصٍ حقيقيّةٍ للوحدة العربيّة وتعزيزها، فوُحّدت الإمارات السّبع (أبو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة، الفجيرة) بجهودٍ حثيثةٍ قام بها القائد المؤسِّس -طيّب الله ثراه- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وذلك وفق مرتكزاتٍ وعواملَ ساعدته في بلوغ طموحه هذا برفقة إخوته شيوخ الإمارات الأخرى، وأبرزها: النّسب العربيّ بين القبائل في المنطقة، والتّشابه في الأنماط

السلوكيّة والقيم الاجتماعيّة والتراثيّة، بالإضافة إلى الوقائع والأحداث التاريخيّة المشترَكة لسكّان منطقة الإمارات[١]، فقد تكاتفت إثرَ ذلك الجهودُ المشتركة لبناء دولة الإمارات العربيّة المتحدة، فقامت –ومنذ البدء– على التّفاهم والانسجام والفكر الاتحاديّ، والذي آتى أُكله فأثمر إنجازاتٍ جعلت دولة الإمارات في مصافّ الدّول المتقدّمة حتى اليوم، فقد كان هذا الاتّحاد بمثابة إعلانٍ قيَميٍّ جديد، وقف بصرامةٍ في وجه التّفرقة والانعزال، فكانت عُراهُ منذ البدء وشيجةً كما أرادها القائد المؤسس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وإخوته شيوخ الإمارات، فما انفكت ركائزُ هذا الاتّحاد وأساساتُه ماكنةً مستقرّةً "بفضل الأسس التي وُضعت لاستمرار البناء القيَميّ هذا، والذي نشأ على عراقةٍ نبيلةٍ وحداثةٍ معزَّزةٍ بالقيم والموروث الأصيل"[٢]، كل ذلك وغيرُه قدّر له أن يكون رغم وجود معيقاتٍ سياسيّةٍ وتحدّياتٍ فرضتها –آنذاك– عواملُ جيوسياسيةٌ وعوائقُ اقتصاديّةٌ، فقد جاء في مقدمة نصّ اتّفاق الاتّحاد ما نصُّه:

**"إن قيام الاتّحاد جاء استجابةً لرغبة شعوب المنطقة في الحفاظ على الأمن والاستقرار وتحقيق الدفاع الجماعيّ عن كيان وصيانة وسلامة بلادهم، وفقاً لأهداف ومبادئ وميثاق الأمم المتّحدة وميثاق جامعة الدّول العربية"[٣].**

لقد كان الشيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه تعالى– حريصاً منذ البدء على احترام النّهج الدّوليّ العامّ، وما ينطوي عليه من اتّفاقيّاتٍ ومواثيقَ ومعاهداتٍ رسميّةٍ، وعلى هذا الأساس تمّ رسمُ السّياسة الخارجية لدولة الإمارات العربيّة المتّحدة من خلال

[١] الصايغ، فاطمة، **الإمارات العربية المتحدة من القبيلة إلى الدولة**. دار الكتاب الجامعي. العين، طبعة أولى، 2000. يمكن الاطلاع وباستفاضة على ما قدمته الدكتورة الصايغ حول عوامل الاتحاد بين الامارات السبع ومقوماته ودور المغفور له الشيخ زايد بن سلطان في إيجاد فكر اتحادي يتجاوز النظرية إلى التطبيق وللقيادة السياسية التي انبرت لكل المعيقات.

[٢] زغل، محمد فاتح صالح، **زايد ومسيرة البناء القيمي، القيم المجتمعية في دولة الإمارات**. قران الأصالة والمعاصرة. المجلس الوطني للإعلام. أبو ظبي. ط١، 2019، ص ٢٥

[٣] رأفت، وحيد، **حول اتحاد الإمارات العربية في الخليج العربي**، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد السادس والعشرين، القاهرة، ١٩٧٠ ، ص: ٦ .

الاهتداء بالأسس العامّة لقيم هذا الاتحاد وبالعوامل[1] التي أدّت دوراً كبيراً في رسم السّياسة الخارجيّة لدول الإمارات لاحقاً، فقد كان الشيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– مؤمناً منذ البداية بأنّ الاتفاقيّات الأمميّة والمواثيق الدّوليّة يجب احترامُها بل وتعزيزُها دوليّاً؛ فمنها استُخلِصت بنودُ اتّفاقيّة الاتّحاد بين الإمارات السّبع والتي كان عمادَها التّفاهمُ والمودّةُ والتّعاضدُ.

وممّا يدعم هذا القول ويعضُده من أقوال الشيخ زايد –طيّب الله ثراه– باني هذا الاتّحاد ما نصُّه:

**"إنّنا نحرص على المودّة والأخوّة بيننا، وإنّك إذا أخذت شيئاً من يدك اليمنى لتضعه في يدك اليسرى هل يمكن أن يقال إنّك فقدت شيئاً؟! نحن جميعاً أخوةٌ وجسدٌ واحدٌ"**[2].

وعليه فقد كان أساسُ هذا الاتّحاد هو الالتزام القيَميّ والأخلاقيّ أكثر من التّعاقديّ الفيدراليّ، وهو سرّ ديمومته ومصدرُ قوّته، فمع فشل انضمام كلٍّ من دولتي قطر والبحرين الشّقيقتين وإعلانِ استقلالهما لاحقاً، لم يصدُر من قبل دولة الإمارات العربيّة أيُّ ردّ فعلٍ نقيضٍ أو سلبيٍّ إزاء ذلك؛ وإنما باركت للدولتين الشقيقتين استقلالهما، فشكّل هذا الموقف السّياسيُّ الحصيف أولَ حالة ظهورٍ دبلوماسيٍّ حقيقيٍّ إزاء الخلافات والصّراعات الإقليميّة في المنطقة العربية من جهة دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد قال طيّب الله ثراه في مقام ردّه على قرار عدم المشاركة في الاتّحاد من قبل الدّولتين الشّقيقتين:

**"نحن نعتبر إخواننا في قطر والبحرين أشقّاءً أعزّاءً، سواءً كانوا داخل الاتّحاد أم خارجه، ولا غنى لنا عنهم، ولا غنى لهم عنّا، وإن كنّا معهم في الاتحاد ولم نكن**

---

[1] للاطلاع على العوامل التي أدت دورا بارزا في رسم السياسة الخارجية لدول الإمارات العربية المتحدة منذ عهد الاتحاد شاكر محمود وهيب، **السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة.** دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع. ط١. ٢٠١١ .

[2] المهيري، فاطمة سهيل، **زايد بن سلطان.. صانع الوحدة.** مجلة "ليوا" مركز الوثاق والبحوث، العدد الثاني عشر. (أبوظبي ٢٠٠٤). ص: ٢٣-٢٤

**فإنّي اعتقد أنّ مصيرنا واحدٌ لا يتجزّأ، مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً، ونؤمن إيماناً كاملاً بأنّ ما يسعدهم يسعدنا، وما يُكربهم يُكربنا، وما دامت هذه عقائدنا، ما دام بابُنا مفتوحاً دائماً، فلا بدّ أنّنا وإيّاهم سنلتقي –إن شاء الله– على ما يرضي الله ويرضي شعوبنا وأمّتنا**"[1].

لقد جاءت خطابات سموّ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه– ومنذ إعلان الاتّحاد والاعتراف الرّسميّ العربيّ من قبل جامعة الدّول العربيّة، ومنذ الاعتراف الدّولي من قبل هيئة الأمم المتّحدة خطاباتٍ مبنيّةً وفق استراتيجيةٍ تضامنيّةٍ تنسجم وعُرى الاتّحاد الجمعيّ بين الإمارات السّبع؛ إذ كان دائماً يركّز في خطاباته على الرّوح الجماعيّة لا على النّزعة الفرديّة، وكان كثيراً ما يستخدم ضمير المتكلّم **(نحن)**، إذ لم يكن –طيّب الله ثراه تعالى وطيّب ثراه– ينسب الأمورَ والقراراتِ والنّتائجَ الإيجابيّة لنفسه دون إخوته من شيوخ الإمارات الأخرى، أو حتّى أفراد شعبه، فكان منذ مطلع مسيرته وحدويّاً جمعيّاً، يرفض النّزعة الفرديّة والتّفرقة والاختلاف، وبما أنّ هذا الملمح الجمعيّ التّضامنيّ هو أحدُ أبرز ملامح استراتيجيّات الخطاب الإقناعيّ البارزة والمؤسَّسة في الخطاب السياسيّ لدولة الإمارات، فلا بد من الإلماح لها ههنا قبل تفصيلها لاحقاً في ثنايا هذه الدراسة، لنفسح المجال لتأطير العوامل الدّاخلية المؤثّرة في صناعة القرار السّياسي الخارجيّ لدولة الإمارات العربيّة المتّحدة، وهي عواملُ أثّرت في رسم السّياسة الخارجيّة والدّاخلية لدولة الإمارات، وكانت تُحيق بها من كلّ الاتّجاهات، أمّا عوامل هذا الاتّحاد وبُنياته الأساسيّة فيُمكن إجمالُها في:

## أ- العامل الجغرافيّ والسّكانيّ (التّنوع السكانيّ والكفاءات الوافدة):

تملك دولة الإمارات العربيّة المتّحدة موقعاً جغرافياً مميّزاً ومساحة ممتدّة؛ فهي تطلّ على الخليج العربي، وعلى بحرِ عُمان في آنٍ، وتملك ثلاث واجهاتٍ بحريّة، فأراضي الدولة تقع على أهمّ طريقٍ تجاريٍّ بحريٍّ، يربط الهند بالجزيرة العربيّة وقارّة

[1] الفلاحي، عائشة محمد خالد، **التنشئة السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩١.ص: ١٨٠

آسيا، وهو ما يؤكّده تاريخ الدّول الكبرى في العالم من خلال محاولتهم تاريخياً السيطرةَ على منطقة الإمارات العربيّة والخليج العربيّ عموماً، إذ تتمتّع دولة الإمارات العربيّة المتّحدة بموقعٍ استراتيجيٍّ جعلها في بؤرة الصّراع العالميّ، وذلك نظراً لقربها من أهم مضيقين في العالم وهما: مضيق هرمز، ومضيق باب المندب، وتبعاً للمكانة التأثيريّة ولاعتبارات الجوار والتّداخل السكانيّ مع دول الخليج كافّةً نما الاقتصاد الإماراتي وحقّق نجاحاتٍ بارزةً، فهو نقطة التقاءٍ وتبادلٍ تجاريٍّ تشمل تبادل سلعٍ وبضائعَ مختلفةٍ، وتملك دولة الإمارات العربيّة المتّحدة اليوم موانئَ بحريّةً وجويّةً مهمّةً في العالم.[١]

أمّا سكّانيّاً فقد ارتفع عدد سكّان دولة الإمارات مؤخّراً جرّاء نعمة الأمن والاستقرار في الدولة، والتي تحقّقت بالتّوازي مع الازدهار الاقتصاديّ الكبير الّذي حقّقته الدّولة بعد الطّفرة النفطية، ومعها ازدادت نسبة مواطني دولة الإمارات العربيّة المتّحدة على ما ينيف عن عشَرة ملايينَ نسمةٍ في آخر تعدادٍ سكّانيٍّ تمّ إجراؤه، ومع هذا التّزايد السّكانيّ والعمرانيّ تمّ التركيز على المؤسسات التعليمية في الإمارات وتطويرُها، وبناؤها من ثمّة بناءً عصريّاً يتّفق ومتطلباتِ العصرِ والاكتشافاتِ والاختراعاتِ الحديثةَ، وإلى ذلك استقطبت الدّولة أهمّ الكفاءات المهنيّة والعلميّة للاستفادة من خبراتها وتجاربها، ويعيش إلى جانب المواطنين عددٌ كبيرٌ من السّكان الذين وفدوا إلى الدّولة من شتّى أنحاء العالم، حيث يعيش على أرض دولة الإمارات العربيّة المتّحدة مواطنون من أكثرَ من مئتَي جنسيّةٍ، فدولة الإمارات العربيّة المتّحدة اليوم تستقطب أهمّ الكفاءات والعقول وتُقدّم لها كلَّ ما يلزم لتستثمر فيها، وتفيد من خبراتها وتميُّزها.[٢]

## ب-العامل الاقتصاديّ (البترول والاتّحاد):

[١] محمد شاكر حسين، "الجغرافيا السياسية واستمرارية النظام السياسي الإماراتي"(2021-2004) ، *مجلة السياسة والاقتصاد*، جامعة بني سويف، العدد ١٤ (أبريل ٢٠٢٢): ٣٥٣-٣٩٤، https://journals.ekb.eg/article_229980.html.

[٢] حسين، "الجغرافيا السياسية واستمرارية النظام السياسي الإماراتي"، ٣٧٥.

أدّت الطّفرة النّفطيّة إلى وضع دولة الإمارات العربيّة في مصافّ أهمّ الدّول العالميّة المنتجة والمصدّرة للنّفط؛ فقد شكل النفط عاملَ تعزيزٍ للوحدة الوطنية داخل الدولة، فانعكس هذا الملمحُ جليّاً على المستويات التنمويّة كافّةً، وشمل كل الإمارات العربيّة المشمولة في الاتحاد، ولم يقتصر الأمر على الدّاخل الإماراتيّ فحسب؛ ففي المقابل ارتفع منسوب الإنفاق الخارجيّ لدولة الإمارات عبر تقديم المساعدات والعون من خلال قنواتٍ خيريّةٍ وتطوّعيّةٍ معترفٍ بها دولياً ومدعومةٍ من قبل الدّولة، فقد تدخّلت دولة الإمارات غيرَ مرّةٍ وهبّت لمساعدة وإنقاذ دولٍ منكوبةٍ تعرّضت لكوارثَ طبيعيّةٍ وحروبٍ أهليّةٍ طاحنةٍ، فانتفضت دولة الإمارات وبتوجيهات قادة وصنّاع الاتّحاد وحافظي مجدها لمساعدة اللاجئينَ والفقراءِ في العالم أجمعَ، وإلى ذلك استثمرت الدّولة كلّ ما يمكنها لمنع اندلاع الحروب والنّزاعات بين البشر، فلم تقتصر عوائد الخير التي منحها الله تعالى للإمارات على دولتها وأبناء شعبها فقط، بل مدّت يدها إلى كلّ من يحتاج المساعدة والعون في شتّى مناحي العالم. [1]

**جـ- سياسة التّقبل والانفتاح على العالم (النّخبة الحاكمة):**

بفضل الإدارة الصّبورة والمتحدّية التي أسّسها الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه– وعزّز أسسها الشيخ خليفة بن زايد –طيّب الله ثراه– والذي قاد مرحلةً مهمة في تاريخ ازدهار دولة الإمارات وتقدمها فقاد المغفور له الشيخ خليفة بن زايد مرحلة التمكين منتقلاً بالبلاد من مرحلة التأسيس التي خاضها الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان غفر الله له باقتدار وصبر وحكمة إلى مرحلة التمكين "فقد طبع عهده بازدهار اقتصادي كبير، في البلاد، فضلاً عن نمو تجاري وسياحي"[2] .

واليوم يكمّل المسيرة بعزيمةٍ وإصرارٍ كبيرين سيدي صاحب السّمو الشّيخ محمد بن زايد آل نهيان– حفظه الله ورعاه– فتستكمل دولة الإمارات مسيرتها المكلّلةَ بالنجاح

[1] وزارة الطاقة والبنية التحتية الإماراتية، "إنتاج النفط الخام والغاز الطبيعي في الإمارات العربية المتحدة"، *البيانات المفتوحة للحكومة الإماراتية*، https://opendata.fcsc.gov.ae/ar/%40ministry-energy-industry/crude-oil-natural-gas-production-in-the-united-arab-emirates.

[2] وكالة أنباء العربية، الحدث، الخميس ٢٨ مارس، ٢٠٢٤

والازدهار يوماً بعد يومٍ؛ فقد أحسنت حين اتّبعت ما ورثته كابراً عن كابر من منهجيّةَ الحكمةِ والصّبر والعزيمة في القيادة، وعزّزت بجانب ذلك كل فرص الاستثمار الجديدة، فقد أحسنت توظيف المصادر الطّبيعيّة والعوامل المرافقة لها، والتي حظيت بها دولة الإمارات العربية المتّحدة. وبالإضافة إلى البيئة والثّقافة المتقبّلة والمتصالحة يعيش قرابةُ المائتي جنسيةً من مختلف المرجعيّات والمشارب الثّقافية والدينية على أرضها في تعايشٍ وتسامحٍ لا تحظى بهما الدّول الأخرى، كلّ ذلك رافقه وضع بنىً تحتيّةً ثقافيّةً وتعليميّةً حملت كلّ هذا التّنوع ونهضت بالدولة فجعلتها في مصافّ الدّول العظمى.[1]

فقد أدرك مؤسّس الاتّحاد وباني الإمارات الحديثة أنّ سياسة التّقبل والتّسامح هذه لن تجعل الدّولة الجديدة منكفئةً على نفسها، بل منفتحةً وقادرةً على مُجاراة العالم والتّأقلم مع مجرياته، وهو ما جعلها لاحقاً دولةً ذات صدىً إقليميٍّ وعالميٍّ واضحٍ كما نعهدها اليوم، وبفضل هذه السّياسة بات حضور دولة الإمارات ملحّاً في الأحداث والتّطوّرات الدّوليّة كلّها، وقد تُوّجت أخيراً عام ٢٠٢٣م عضواً غيرَ دائمٍ في مجلس الأمن، ممثّلة عن المجموعة العربية وآسيا، وقد تمّ انتخابها بالتّزكية نتيجةَ سياسة التّقارب والتّقبل والتّعاون والحياد التي أرساها الشّيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– مع شيوخ الإمارات الأخرى، ورافق هذا الانفتاح والتّسارع نحو التقدم والازدهار التزامٌ مبدئيٌّ في الحفاظ على ثقافة الدّولة وعلى تقاليدها العربيّة الأصيلة، وقبل ذلك التّمسك بالدّين الحنيف والخلق الإسلامي السَّمْح، فاليوم تضع الدولة العُدّة لتستعدّ للمستقبل وتحدّياته وأسئلته القادمة، فالإمارات تتطلّع لمستقبل الإنسانيّة جمعاءَ وليس لمستقبلها فحسب، وهي اليوم تعقد المؤتمراتِ وتدعم المشاريعَ والصّناعاتِ الّتي تحافظ البيئة النّظيفة وتعزّز الاستدامة[2].

## ٢- الشّيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه والدّبلوماسية النّاعمة:

[1] الشامسي، شيخة سيف، **مؤشرات التنمية الاقتصادية في دولة الإمارات العربية المتحدة**، جمعية الاجتماعيين، مج ١٣، الشارقة ١٩٩٨، ص: ٢٧

[2] ابتسام الكتبي، **رؤية محمد بن زايد: نموذج دولة الإمارات في بناء القوة**، مركز الإمارات للسياسات 2022. ينظر الفصلين الخامس والسادس.

كان الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه تعالى وغفر له– حريصاً على تكريس سياسة التّنمية المحلّيّة وعلى تطويرها منذ اليوم الأوّل للاتّحاد، وذلك في سبيل اللّحاق بمصافّ دول العالم المتقدّم، والاستفادة من الشّراكات والعلاقات الخارجيّة بشتّى طرق التّبادل والتّعاون معها، وإلى جانب ذلك سعى الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه– إلى توطيد سبل الأمن والاستقرار كافّةً لبلده أوّلاً، ولمنطقة الخليج العربيّ والوطن العربيّ ثانياً، وذلك بعد أن رسم خلال مسيرة قيادته أُطرَ الاتّحاد بين الإمارات السّبع، فأرسى –طيّب الله ثراه– دعائم الدولة وهيكلها السياسي؛ فكانت المجالسُ الاستشاريّة والبرلمانيّة، حيث كان هناك وبشكلٍ دائمٍ مشاوراتٌ مستمرّةٌ مع كبار شيوخ القبائل في الدّولة من خلال إشراكهم في صنع القرار، وإلى جانب ذلك كانت التّنمية المنشودة تُغذَّى على الدوام من خلال استقطاب أهمّ المستشارين الاقتصاديّين والسياسيّين، بهدف الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم، فضلاً عن التّسهيلات الكبيرة التي تُعطى لرجال الأعمال والمثقّفين البارزين وللشّركات العالميّة التي تستفيد الدولة من خبراتها ومكانتها العالمية، وهو ما عجّل من مسيرة التنمية والإصلاح على الأصعدة كافّةً، وهو ما من شأنه إعدادُ جيلٍ إماراتيٍّ معَدٍّ ومجهّزٍ لكلّ المهمّات الوطنيّة التي نراها الآن ماثلةً في عهد سيّدي صاحبِ السّمو الشّيخ محمد بن زايد آل نهيان –حفظه الله تعالى ورعاه.

وعلى الدّرب ذاته الذي اختطّه ورسم معالمه الشيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه تستمرّ مسيرة النّماء والتّقدم؛ فقد ظلّت السّياسة الخارجيّة للدّولة الإماراتيّة وإلى يومها الحاضر في عهد صاحب السّمو الشيخ محمّد بن زايد آل نهيان –حفظه الله ورعاه– ترتبط بأمن الخليج العربيّ، وبحفظ الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، "لسمو الشيخ محمد بن زايد –حفظه الله– جهدٌ واضحٌ في نشر الصّورة الصّحيحة لديننا الحنيف، عن طريق تعزيز نهجه الوسَطيّ وتعاليمه السّمحة ونبذ الفكر المتطرّف والمتعصّب

الذي طالما أشعل الحروب والصراعات"[1]، فقد تمّ إبعاد منطقة الخليج العربيّ عن صراعات القوى الأجنبيّة، وتمّ تجنيبُها كذلك من ويلات الحروب غيرَ مرّةٍ، فظلّت المنطقة محطّ إشعاعٍ حضاريٍّ للعالم في المجالات كلّها، ولتأكيد أصالة هذا النّهج الذي بات أسلوباً دبلوماسيّاً خاصّاً بالدّولة نشير إلى أنّ "الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيّب الله ثراه– حافظ في ثمانينيّات القرن الماضي على علاقةٍ وسطيّةٍ بين معسكرَي الشّرق والغرب[2]، فقد استطاع جعلَ مرتبة الحياد تلك مرتبةَ القويّ وليس الشّاهد أو الضّعيف؛ فلم يُشغِل شعبَه والمنطقةَ بسباق التّسلح بقدر ما انصبّ جلُّ اهتمامه على اللّحاق بمعطيات العصر، وعلى حفظ منزلة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة بين دول العالم المتقدّم، واليوم يقود المسيرة المسيرة صاحب السموّ رئيسُ الدّولة الشّيخ محمّد بن زايد آل نهيان –حفظه الله– من خلال "إيلاء ثورة المعرفة والتّكنولوجيا أكبر الاهتمام، فقد شجّع سموّه على إنتاج المعرفة وليس استهلاكها فقط، وذلك من خلال توطين الصّناعات المحليّة وإنشاء بُنىً تحتيّةً متميّزةً ومتكاملةً، تساندها شبكة طرقٍ متقدّمةٌ وحديثةٌ وسريعةٌ"[3].

ومنذ بواكيرها اختارت دولة الإمارات العربيّة المتّحدة لغة الحوار والتّفاهم، لا لغةَ السّلاح والهيمنة، وهي القادرةُ على صناعة أعتى الأسلحة وشراءِ أحدثها، لكنّها آثرت السّلام الإنسانيّ ونشرَه، ودحرَ كلّ أشكال التّطرّف والعنف والغلوّ، وحاولت تقديم صورةٍ حقيقيّةٍ غيرِ مشوّهةٍ عن الإسلام الحقيقيّ القائم على المودّة والرّحمة والتّسامح، وجعلت" تركيز قوّتها منصبّاً على بلورة نموذجها لبناء القوّة واستعدادها للمستقبل، فبات نموذجُها جاذباً تمتاز قيادته بالمرونة وسرعة التّكيف مع التّحولات الإقليميّة والدّولية،

---

[1] جمال، سند السويدي، **صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان إضاءات في مسيرة رجل الإنسانية**. مكتبة اتحاد الامارات، أبوظبي، دولة الامارات العربية المتحدة، ٢٠٢٣. ص ١٥٠.

[2] الربيعي، صبا حسين مولى ومحمد كامل محمد، **السياسة الخارجية للشيخ زايد بن سلطان تجاه الدول العظمى ١٩٧١–١٩٩٠: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أنموذجاً**، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين، الشارقة. ع ١٤٣، خريف ٢٠١٩، السنة ٣٦

[3] جمال، سند السويدي، **مرجع سبق ذكره**. ص ١٥٦

فتزامن بناءُ قدراتها العسكريّة مع ترسيخ الدّولة لدبلوماسيةِ المساعدات"[١]، وتعزيز سياسة الدّبلوماسية النّاعمة أيضاً والتي تتعلق "بتلك القدرة على جعل الآخرين يقومون بتصرّفاتٍ دون إخضاعهم لقوّة السّلاح والاقتصاد اللتين تعتمدان المنع والمنح"[٢]؛ إذ المقصودُ بالقوّة النّاعمة إشغالُ الفضاء المشترك بكلّ سبل التّشارك والانسجام القيَميّ المشترك، في الوقت الذي ارتبط فيه مفهوم القوّة العسكريّة لدى بعض الباحثين بالممارسات الإكراهية التي من شأنها أن تفرض على الآخر التّصرف بشكلٍ موجّهٍ، في حين تُشرّع القوّة الناعمة البابَ لإعادة فهم القدرة على التّأثير في الآخرين من خلال الجاذبيّة والاحتواء وقوّة النّموذج وجاذبيّة الثّقافة والمصداقيّة والالتزام، والمصطلح هذا أُبرِم نتيجة إقرارٍ إنسانيٍّ عريضٍ حول لا جدوى الفتك والقتل في حلّ الأزمات والصّراعات وهو مصطلحٌ كما يقول "جوزيف ناي"[٣] لم يُخترع لأنه موجودٌ منذ أن كان نظيراً لمفهوم القوّة القاهرة والعنف.

فقد تعني القوّة النّاعمة كذلك الأمرُ "القدرةَ على التّأثير في الآخرين، بحيث تصبح قيَمك ومبادِئُك وثقافتك وطريقتك في الحياة هي النّموذج الذين يرغب الآخرون باحتذائه[٤]، فآلة الحرب تُسكت الآخر وتقمعه، في حين تبقى الكلمةُ الخيارَ الوحيدَ القادرَ على إشراك الجميع وجذبهم بأرواحهم وليس بأجسادهم فقط، ويدوم أثرُها ويخلّد، في حين تُخمَد أصواتُ الحرب وتُمحى، "وكما يقول "جون أوستن فإنّ "القول ليس للإفصاح التعبيريّ وحسب، بل هو إفصاحٌ إنجازيٌّ، فبقول شيءٍ ما نفعل أمراً ما"[٥].

---

[١] ابتسام، الكتبي، **رؤية محمد بن زايد: نموذج دولة الإمارات في بناء القوة**. مركز الإمارات للسياسات. وزارة الثقافة والشباب، الامارات العربية المتحدة. ط١. ٢٠٢٢. ص: ٢٠

[٢] عبدالجواد، جمال، **القوة الناعمة...مفهوم مهم لكنه مراوغ**، دبي جريدة البيان، ٢ مايو ٢٠١٩

[٣] Joseph S. Nye Jr., Soft Power: The Means to Success in World Politics (New York: Public Affairs, 2004).

[٤] Ibid.

[٥] أوستن، جون لانغشو، **الفعل بالكلمات**، تحقيق، جايمس أوبي أورمسن ومارينا سبيسا. ط١، هيئة البحرين للثقافة والآثار. المنامة. ٢٠١٩. ص ١٤٩.

إنّ ثقافة التّسامح والسّلم والعيش المشترك ثقافةٌ متجذّرةٌ لدى العرب والمسلمين، وهي قيمهم وهي أساس الرّسالة المحمديّة التي جاءت لتتمِّم مكارم الأخلاق، أمّا المحبّة فهي طبعُ الشّيخ زايد –طيّب الله ثراه؛ فقد كان قلبه معلّقاً بفعل الخير لكلّ من يقصده، "فقد حرص المغفور له على تتبّع مفردات هذه الثّقافة، وسعى ما استطاع إلى الارتقاء بها بكلّ ما أوتي من صبرٍ وعزيمةٍ"[1]، وذلك بفضل عواملَ عدّةٍ أسهمت في غرس هذه الثّقافة في نفسه، وفي تكوينِه المحبّ والمُسالم، فأورثها لأبنائه وأبناء شعبه ومن هذه العوامل:

– الاستعداد الفطريّ لدى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه.

– طبيعة سلوكه المتواضع والقريب ممّن حوله، سواءٌ أكانوا أقرباءً أم أصدقاءً.

– الوازع الدّينيّ الذي كان له الأثر الأبرز في تكوين هذه الثّقافة وطبعها في سلوكه –طيّب الله ثراه، وفي تعامله مع قضايا العامّة وشؤونهم، فقد كان –طيّب الله ثراه– متمسّكاً بدينه، قلبُه عامرٌ بالإيمان والتّقوى وحبّ الخير للآخرين.

– البيئة الاجتماعية والبيئة الأسريّة التي ترعرع فيها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه، فقد كان لها دورٌ فاعلٌ في بناء هذا الاعتدال الفطريّ، والإحساسِ العربيّ والإسلاميّ لديه، وقد ورثها المغفور له من أجداده أصحابِ النّسل العربيّ النّبيل، وبالإضافة إلى الاعتدال حبّ النّاس والجود والطيب ومكارم الأخلاق كافّةً.

نستخلص ممّا سبق أنّ تكوين الشيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه وأكرم مثواه– كان عربيّاً أصيلاً، واجه به التّحديات والصّعوبات الّتي عرف كيف يسخّرها لبناء دولته الّتي يصونها اليوم أبناؤه وشعبه متابعين بذلك مسيرة الاتّحاد وإنجازاتِها، ومن هذا المنطلق نجد أنّ خطابات المغفور له كانت تضطلع بمستويين لغويين ينهضان بوظيفتين إبلاغيّتين بنيت عليهما لاحقاً استراتيجيّةُ الخطاب الرسميّ لدولة

[1] الظاهري، نورة جوعان أحمد زربيل، **السياسة السلمية للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان**، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، ط١، 2018، ص 31

الإمارات، فتجلّت لاحقاً وبشكلٍ واضحٍ في خطابات بعثة الدّولة في مجلس الأمن الدّولي، ولعلّ الباحث يقصد بخطابات المغفور له الشّيخ زايد بن سلطان في ههنا كلَّ تلفّظٍ سواءٌ أكان على مستوى الجملة أم على مستوى الفقرة، شفاهيّاً كان أم مكتوباً، فصدر عن المغفور له بوصفه متكلّماً أمام مستمعين قصْد التّأثير بهم، وذلك وفق استراتيجيّةٍ فَرضت استخدام آليّاتٍ لغويّةٍ وغيرِ لغويّةٍ تُتبع لدواعي سياقيّةٍ وتواصليّةٍ خاصّةٍ[1]، لذلك لا بدّ من تبيّن شكل العلاقة، وموقع كلّ من المتكلم والمستمع عند إنتاج الخطاب.[2]

ومن أشهر أقواله في خطاباته؛ قوله "الإنسان هو الثروة الحقيقية، والمستقبل يُبنى بعقول أبنائنا"، و" نحن في دولة الإمارات نسعى إلى بناء مجتمع يسوده الحب والتعاون، ولا مكان فيه للفرقة"، "نحن في الإمارات نؤمن بأن الاستقرار والتقدم لا يتحققان إلا من خلال العمل الجماعي"، "إننا لا نريد أن نكون فقط دولة نفطية، ولكننا نريد أن نكون دولة حضارية رائدة في جميع المجالات"، و" لا يوجد أغلى من الإنسان، ولا يوجد أكبر من الوطن"، "العقل العربي هو سر نجاحنا، والإنسان هو أداة التغيير والتقدم"، "العمل هو مفتاح النجاح، ونحن نؤمن بأن العمل الجاد هو الطريق لتحقيق الأهداف".

يرى الباحث أنّ خطاباتِ المغفور له الشّيخ زايد بن سلطان اتّبعت استراتيجيّتين مختلفتين؛ فحين يكون الطّرف المستقبِل للخطاب هم الأشقّاء العرب تكون استراتيجية الخطاب مغايرةً لتلك المتّبعةِ حين يوجّه خطابه لداخل الدولة (الشّعب الإماراتيّ)؛ حيث العلاقة بين أطراف الخطاب تقود شكل هذا الخطاب، وتحدّد هويّته النّصية، وأيضاً صيغته التّأثيرية، وتكشف كذلك الأمر عن علاقة المرسل بالمتكلم بالنّص نفسه.

وعليه يمكن القول أنّ الشيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– بنى علاقةً سلميّةً تراتبيّةً، ووفقاً لما انتهى له الباحث في استراتيجيّاته الحجاجيّة في صناعة الخطاب وجد

[1] سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي**، بيروت، المركز الثقافي العربي. الطبعة الثالثة. ١٩٩٧. ص ١٩.

[2] مركز التوثيق الإعلامي، *مجموعة خطب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٧١-١٩٨٩* (أبوظبي: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٩٠)، ٤٥.

أنّه ظلّ محافظاً على بثّ هذا الخطاب الإيجابيّ سواءً مع الأشقاء أم مع أبناء شعبه؛ وهي علاقة – كما ذكر الباحث آنفاً– عمادُها التّفاهم والوئام، ذلك لأنها جاءت مبرهَنةً بإنجاز الاتّحاد المبارك بين الإمارات السّبع.

إنّ الخطاب الصّادر عن السّلطة يحتّم وجودَ مرسِلٍ أعلى رتبةً من المستقبِل، وهي علاقةً كما تظهر غيرَ متكافئةٍ؛ إذ الخطاب يَصدُر هنا بشكلٍ عموديٍّ، وبالتحديد عن الشيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– بوصفه يمثّل السّلطة، والمستقبِل/ المخاطَب هو الشّعب، غير أنّ المغفور له جعلها علاقةً عادلةً ليست سلطويّةً؛ فاستخدم استراتيجيّةً تضامنيّةً قلّصت المسافة بينه –بوصفه يمثل السلطة– وبين الآخرين، فجعلتهم متمسّكين به محبّين له، وقد عملت هذه الاستراتيجيّة الخطابيّة وأدّت ما تؤدّيه الاستراتيجيّات الأخرى: كالتوجيهيّة والتّلميحية... فشدّت من عضُد أبناء الدّولة، وجعلتهم ملتفّين تحت راية القيادة، ومنحتهم علاقةً دافئةً مع السّلطة، فكان طيّب الله ثراه نادراً ما يستخدم أساليب النهي والأمر في خطابه، سواءً في المستوى التّركيبيّ للجملة أم في المستوى الصّوتي المؤثّر، وذلك بقصد تقريب المسافة بينه وبين أبناء شعبه، غير أنّه وفي سياقاتٍ مختلفةٍ اتّجه للخطاب الايعازيّ المحفِّز حين تتطلّب الأمرُ البدءَ بالعمل، ولفتَ الانتباه للقضايا المعاصرة، والعملَ من أجل المستقبل، وصونَ الاتّحاد.

إنّ التّعبير عن القصد عند المتكلّم/ المرسِل يفترض تصريحاً قاطعاً، في حين أنّ التّلميح بما يُبطنه النّصّ من معنىً يتطلبُ استراتيجيةً تلميحيّةً توظّف منطقاً لغويّاً حجاجيّاً يقدّم عناصرَ وأساليبَ ويتركُ أخرى، وذلك تبعاً لمقام المتكلم ومقام المستمع، إذ "قيمة الخطاب الدّلالية تتّحدد تبعاً لتحديد شبكة العلاقات الاجتماعيّة؛ لأنّ التّعامل مع اللغة هو تعاملٌ مع مضامينها"[1]. لذا كان المغفور له مدركاً أنّ الحفاظ على الصّلة

[1] عثمان بن طالب، **البرغماتية وعلم التركيب بالاستناد إلى أمثلة عربية**. الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية. مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٨٥. ص ٧٤

الاجتماعيّة مع الآخرين لا تتأتّى بالضرورة من الصّفة الدّبلوماسية وتقاليدِ السّلطة المتعلّقة بها.

وبما أنّنا في فلك الخوض في مقام المتكلّم والمستمع وما يحتّمانه من نوعية الاستراتيجيّة الخطابيّة المتَّبعة، تجدر بنا الإشارةُ إلى أنّ استراتيجيّات الخطاب الإقناعيّ لدى بعثة دولة الإمارات العربية المتّحدة في مجلس الأمن الدوليّ وُضعت وفق معيار العلاقة بين طرفيّ الخطاب في تصنيف استراتيجيّات الخطاب، ففرضت آلياتٍ لغويّةً وأخرى غيرَ لغويّةٍ متمايزةً تنشد إقناع أعضاء مجلس الأمن الدّوليّ، والسّبب أنّ مقام المتكلّم هناك ليس متساوياً تماماً ومقامَ المستمعين الّذين –كما نعلم– يملك بعضُهم حقّ النّقض (الفيتو)، حيث إنّ محور العلاقة ههنا أفقيٌّ وليس عموديّاً كما لاحظنا في محور العلاقة بين المرسِل والمستقبِل في خطابات المغفور له، والأفقيّة في مجلس الأمن الدّولي هنا مفروضة من قبل طرف المستمع، وليست من صنيع المرسِل وهو ما جعل شكل العلاقة يقوم على النّديّة التي لا تقودها أيّ صفةٍ عاطفيّةٍ تقوم على القرب من الأطراف المستمِعة، ما يحتّم صناعة خطابيّة همّها إقناع الآخر وجعلُه منصاعاً لخطاب المرسِل.

**المحور الثاني/ استراتيجيات خطاب الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه:**

**أمّا الاستراتيجيّتان اللتان اضطلع بهما خطاب الشّيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه، فهما:**

**أ– الاستراتيجية التوجيهية الإيعازية:**

وتكون حين يكون الخطابُ خاصّاً بالدّاخل الإماراتيّ، متعلّقاً بشؤون أبناء الشّعب الإماراتيّ الواحد ومستقبله، وفي سبيل تشجيعهم ودفعهم نحو العمل والبناء وفقاً لأسس الاتّحاد ومبادئه الرّاسخة بين أبنائه، نجد حينها أنّ خطاب المغفور له الشيخ زايد بن سلطان يكون خطاباً غيرَ مرنٍ؛ لأنّه سيمنح الأولويّة للفعل والإنجاز لا للتّعبير الوصفيّ غير الإنجازيّ[1]، فتطغى عليه –تبعاً لنظريّة أفعال الكلام– كلماتٌ تحثّ على

[1] جون لانغشتو اوستن، **الفعل بالكلمات**. مصدر سابق

الفعل لا على مجرّد القول الذي يُظهر التّعبيريّة الوصفيّة السّاكنة، وهنا تتجلّى النّصائح الّتي تبلورت بعد وفاة المغفور له لاحقاً لتصبح على شكل وصايا تخرج من قلب الأب إلى عقول الأبناء ووجدانهم، فالوصيّة بوصفها نوعاً أدبيّاً له جذورُه ومرجعيّاته تعدّ من أبرز الأنواع الأدبيّة الأصيلة في النّثر العربيّ القديم، التي تتأسّس بدايةً على النّصح والإرشاد حين يكون المستقبِل حاضراً، وتصبح مع نجاعة الاقناع والبرهان وصايا خالدةً.

تفرض الوصيّة على المستمع/ المستقبِل الّذي لم يعد حاضراً بشكلٍ مباشرٍ قيداً ولو بسيطاً[1]؛ فهي توجَّه لمصلحته التي يراها المرسِل وهو القدوة[2] الأكثر خبرةً وتجربةً واطّلاعاً من مستقبِل الوصيّة بحكم العلاقة العموديّة في هذا النّوع من التخاطب، "ومن هذا المنطلق فإنّ الخطاب ذا الاستراتيجيّة التّوجيهية يصبح ضاغطاً ولو بدرجاتٍ متفاوتةٍ على المرسَل إليه، قصد توجيهه لفعلٍ مستقبَليٍّ معيّنٍ"[3]. فوصايا الشّيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه اتّخذت صفة الدّيمومة؛ لأنّها وصايا أُنجِزت في سياقٍ أوسعَ، وكونَها وصايا قارّةً ومنجِزةً ومبرهِنة –كما ذكر سابقا، وحملت أفعالاً أدائيّةً ناجزةً ليست مجرّد أفعالٍ تقريريّةٍ وصفيّةٍ قد تقبل الصّواب أو الخطأ، مكّنتها حقبة المغفور له الشيخ خليفة بن زايد طيّب الله ثراه، واليوم يُستَكمل الحلمُ وتتّسعُ الإنجازات الّتي نراها واضحةً بهمّة سيّدي صاحب السّموّ الشّيخ محمّد بن زايد رئيس الدّولة، فقد أراد القائدان الخير والمنفعة لدولة الإمارات العربيّة المتّحدة سواءً بوصايا الشّيخ زايد –طيّب الله ثراه– أو بتوجيهات الشّيخ محمد بن زايد –حفظه الله ورعاه، فمن وصايا المغفور له الشيخ زايد بن سلان وأقواله المأثورة في الذاكرة الوطنية:

---

[1] فيليب بروتون وجيل جوته، **تاريخ نظريات الحجاج**، ترجمة محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة. السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١١. ص ٥٤.

[2] يقابل مفهوم القدوة في بلاغة الحجاج عند برلمان مصطلح النموذج (le modele)

[3] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار كنوز المعرفة– عمّان، الأردن. الطبعة الثانية .٢٠١٥. ص ٨٣ .

**"احذروا يا أبنائي من التّيّارات المسمومة الّتي تأتيكم من الخارج ولا تقربوها ولا تعملوا بها.. اعملوا ما ترونه مفيداً وصالحاً للوطن من أجل تحقيق المزيد من النّمو والازدهار والتّقدّم..."**[1]

**ب**- الاستراتيجيّة التّضامنية الجمعيّة:

وتتأسّس حين تكون المراسلات والخطابات الّتي كان يوجّهها الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه– متعلّقةً بالشّأن العربيّ فيُبنى الخطاب بطريقة تضامنيّةٍ جمعيّةٍ، فلا يُظهِر سلطةً أو تسلّطاً بقدر ما يُظهِر بُعدَه التّضامنيّ بين دولة الإمارات العربيّة المتّحدة وشقيقاتها، "فقد كان –طيّب الله ثراه– حريصاً على تعزيز السّلام العالميّ والصّداقة والتّعاون مع الدّول كافّةً، وكذلك على تدعيم الرّوابط الأخويّة مع العالم الإسلاميّ[2]، وإلى جانب هذه الاستراتيجيّة مع دول الجوار والعالم كان الخطاب الموجّه إلى الدّاخل –في سياقاتٍ معيّنةٍ– تضامنيّاً متساوياً، وذلك بهدف إشراك الطّرف الآخر (أبناء الشّعب الإماراتي) في صنع القرار، وتحقيق الطموحات. قال الشيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه:

**"نحن نستخدم الثّروة النّفطيّة لخدمة الإنسان وبناء المدارس والجامعات والمستشفيات والطّرق والتّشجير وإقامة المزارع والمصانع التي أصبحت تُنتِج الكثير ممّا يحتاجه الشّعب من غذاءٍ".**

وفي هذا القول المأثور قدّم ضمير المتكلم الجمعي (نحن) دلالة تشير إلى تخلّي المرسِل/ الباثّ عن سلطته هنا، حيث ظهر الخطاب تضامنيّاً لتصبح العلاقة بين طرفي الممارسة التّخاطبية أفقيّةً تشاركيّةً، بدلاً من أن تكون عموديّةً جبريّةً، حيث

[1] وزارة الإعلام والثقافة، *الفرائد من أقوال زايد*، ١٣٥.

[2] خليل، محمد، **زايد والسياسة الخارجية**، أبو ظبي. الامارات، منشورات ديوان الرئاسة، الطبعة الأولى، 1991، ص 21-22 .

التّناوب بين هاتين الاستراتيجيّتين هو "رهن قصد المرسِل وغائيّته الخطابيّة"[1] فمحاولة القرب من الشّعب وتقريبه مقصودةٌ هنا، وهي في العموم غاية الخطاب الرّسميّ الإماراتيّ منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها رايةُ الاتّحاد وحتى اليوم، ولا غرو في ذلك لأنّ الأهدافَ والغاياتِ مشتركةٌ ومتفاهَمٌ عليها منذ لحظة إعلان الاتّحاد بين الشّعب وقيادته، فهي تقوم على التّأدب والاحترام وليس على طلب المنفعة من الآخر، كما أنّ الحرص على هذه العلاقة والغايات والطموحات الاتّحادية مكرّسٌ ومتجذرٌ في ثقافة الشّعب والقيادة الإماراتيتين.

"ومن شأن الخطاب بهذه الاستراتيجيّة أن يساوي بين درجات أطرافه، وأن يقلّص المسافاتٍ، ما يضيق معه إطار التّفرقة فتنتفي معه عواملُ التّشتّت، فتصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضلَ منها في بدايته، فتؤثر في عددٍ من العوامل الاجتماعيّة"[2]، فحين تسود العلاقة بين طرفي الممارسة التّخاطبيّة وبعد تمكين عنصر الثّقة سيلتزم المُستقبِل لقاء ذلك بالاحترام والاستجابة للمرسِل، وهو الّذي تنازل في خطابه عن موقع السّلطة، وستتعزّز على نحوٍ عميقٍ مشاعرُ الانتماء والطاعة تجاه الطّرف المرسِل، وهذا العلاقة بفضل ما سبق باتت علاقةً تخطو إلى الأمام، وتعزّز كلّ يومٍ فرصَ نجاحِها وديمومتِها.

فالتخلّق في الحوار كان دائماً سمةً ملازمةً لخطابات الشّيخ زايد بن سلطان – طيّب الله ثراه، وكذلك في خطابات أبنائه قادةِ الدّولة؛ فلم تنشر البتة أو تُظهر التّعنت أو القسوة في الرّدّ، ودائماً ما كانت خطاباتهم تقيم وزناً واعتباراً للآخر، فيحصل المستقبِل/ المخاطَب على تقديرٍ يليق به.

[1] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار كنوز المعرفة– عمّان، الأردن. ط٢، ٢٠١٥. ص ٨.

[2] المرجع السابق، ص: ٩

إنّ خطاباتِ المغفور له تبعاً لمبدأ القراءة والتجربة اتّخذت منحيين اثنين يتبعان للاستراتيجيتين السابقتين. انظر الجدول أدناه[1].

| المتلقون | المقام الزمني | الوظيفة الإبلاغية | نوع نص الخطاب | الصيغة التأثيرية |
|---|---|---|---|---|
| خارج دولة الإمارات: الأشقّاء العرب في الخليج والإقليم | –قبل الاتّحاد (تأسيس الاتّحاد)<br>– بعد الاتّحاد في (النّزاعات والأزمات) | تضامنيّة | رسائل وبرقيّات سياسيّة | التأثير: نبذ العنف ومشاركة المشاعر |
| داخل دولة الإمارات: أبناء شعبه. | بعد الاتّحاد (مرحلة البناء) | إيعازيّة توجيهيّة | وصيّة | التغيير: الأمر والنّهي |

كان الشيخ زايد طيّب الله ثراه يعي تماماً أهميّة بناء فضاءٍ تواصليٍّ تشاركيٍّ يحضُر فيه الجميع، فقد كان يُحسن استمالة أبناء شعبه، فيشدّ من عزيمتهم، محافظاً علي اتّحادهم، فكان يوجّه لغة خطابه بإدراكٍ لنوعية متلقّيه، ولقدراته وللجوانب التي عليه إبرازُها له، فقد كان بليغاً بسبب فطرته ومنزعه الإسلامي، وبسبب خبرته التي صُقلت وجُبلت على حبّ الخير، وهي خبرةٌ ورثها من أجداده ثم أورَثها لأبنائه وشعبه، فتأثيره الخطابيّ وقوة حجّته أدّت إلى تحقيق تواصلٍ وإقناعٍ حصل رغم وجود مرسِلٍ ذي سلطةٍ سياسيّةٍ أعلى رتبةً من المستقبل/ المخاطَب، وهي سلطةٌ تتعلّق بمكانة الشّيخ زايد بين شعب دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، لكنه –كما وأشرنا في الجدول المرفق أعلاه–

[1] تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الدراسة مخصصة لدراسات استراتيجيات الاقناع في خطابات وفد دولة الإمارات العربية في مجلس الأمن الدولي في المدة التي شغلها خلال العامين الماضين ١٩٨٦، ١٩٨٧، ومعها لا يتسع المجال في البحث عميقا في استراتيجيات الخطاب السياسي عند المغفور له والتي تحتاج إلى بحث معمق ومستقل بذاته يضاف إلى الجهود البحثية الرصينة والتي أتت على الخطاب السياسي الإماراتي الذي وضع دعائمه وطبع سمته المغفور له الشيخ زايد بن سلطان ومنذ اليوم الأول.

لا يستخدمها عند بناء خطاباته السّياسية لأشقائه العرب أو عند تقديم وصاياه لشعبه؛ لأنه يريد أن يضمن إشراك المتلقّين في دوره التّشاركيّ، وهو ما ضمِن لخطابه قوّةً تأثيريّةً وصورةً حسنةً على الدّوام، إذ "الخطاب يستمدّ قيمته من قيمة صاحبه، وتأثيرَه في السّامعين مِن تأثير صورته فيهم؛ فالمصداقية الأخلاقيّة تشكّل شرطاً ضروريّاً لقبول الحجّة"[1]، وهو ما تأتّى للشّيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– ذاته حين تحقّقت هذه المصداقية وتعزّزت الثّقة المطلقة بعد إنجازه مشروعه النّهضوي الكبير المتمثّل في الاتّحاد بين الإماراتيين، فحققه بعد أن كان حلماً بعيد المنال، ليشكّل هذا الاتحاد لاحقاً برهاناً وحجّةً قاطعةً، وبيّنةً فاصلةً لا تحاجَج أو لا جدل فيها، جعلت الشّعب الإماراتيّ ومَن حوله والإقليم متقبّلاً ومتمثّلاً لخطاب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه.

**المحور الثالث/ خلاصات الخطاب السياسي لدولة الإمارات وتأثيره على الهوية الوطنية.**

بناءً على ما تقدم، فهذا هو تماماً ما يفسّر سرّ ارتباط شعب دولة الإمارات العربيّة المتّحدة بالشّيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– والتفافهم حول قيادته منذ اليوم الأول للاتحاد، وللتدليل على ما نذكره هنا، ومن خلال مطالعتنا لاستراتيجيات الإقناع والتّأثير وجدنا أن أرسطو وفي كتابه (فنّ الخطابة) ربط ثقة الجمهور (Pathos) بالخطيب (Ethos) نتيجة للخطاب ذاته (Logos)، ذلك لأنّ الخطاب هو المكان أو النّقطة التي يلتقي فيها الخطيب بجمهوره أو ينفصل عنهم. يقول أرسطو:

"والخطيب يقنِع بالأخلاق إذا كان كلامه يلقى على نحوٍ يجعله خليقاً بالثقة..... وهذا الضّرب من الإقناع، مثلَ سائرِ الضّروب، ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلِّم، لا عن طريق ما تظنّه النّاس عن خلقه قبل أن يتكلم"[2]. وقد كان الشيخ زايد بن

[1] مشبال، محمد، **في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان. الأردن، ط١، ٢٠١٧، ص ١٦٩.

[2] طاليس، أرسطو، **فن الخطابة**، حققه وعلّق عليه عبد الرحمن بدوي، دار القلم. بيروت، وكالة المطبوعات– الكويت. 1979. ص 29–30.

سلطان طيّب الله ثراه دائماً في موقعٍ خطابيٍّ ناجزٍ، ليس من موقعه السّياسيّ وحسب بل ومن خلال النّسق الاجتماعيّ المتين من جانبٍ آخرَ، حيث عمّق –كما أسلفنا– إنجازَه لمشروع الاتّحاد من مستوى الثّقة بينه وبين أبناء شعبه، وتكريساً لهذه الثقة واستمراراً لها ظلّ خطاب الشيخ زايد بن سلطان يبعث على التّضامن والقرب، وللتّبصّر في الكفايات التي أنتجت هذا الخطاب عند المغفور له نجد أنّ خطابه يُبنى نتيجة تمتّعه بكفاياتٍ مقدّرةٍ، وهي:

**١ – الكفاية اللغوية:**

كشفت خطابات الشّيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– ووصاياه لشعبه عن كفايةٍ لغويّةٍ تؤسَّس على استعمالٍ لغويٍّ ينسجم مع النّسق اللغويّ المتداول عند المتقبّلين، وهو ما من شأنه تحقيق تفاهمٍ وتوازنٍ بين الباثّ والمستقبِل؛ بين الشّعب وقائده، فكان طيّب الله ثراه بدايةً يبني خطاباتِه بالرّكون إلى منجَز الاتّحاد كبرهانٍ لما ينوي قوله، وكحجّةٍ جاهزةٍ وقارّةٍ، فالحُجّة الجاهزة تدعّم الثّقة بما سيقال، وتُطَمْئِنُ المتقبّلَ وتخفّف من حدَة الشّطط في التّأويل عنده لو وقع عند لحظة الاستقبال، فلوحظ عدول الشّيخ زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– وهو القادر على استعمال اللغة الفصيحة، لكنه عدل عنها وفقاً لمقتضيات سياقيّةٍ مختلفةٍ بالرّمسة الإماراتية، وقد سدّ ذلك الفجوة بين خطاب السّلطة السّياسية وتلقّي أبناء الشّعب الذي اعتاد خطاباً رسميّاً يقترب من موقع الشعب أكثر من موقع السّلطة، وهو ما أوجد سياقَ تلقٍّ جاذباً يجعل المستقبِل يُذعِن[١] للخطاب ويستحسنه، وهو يستمع لمستوىً غيرِ مقعَّرٍ ولحوارٍ تتساوى فيه كلُّ الأطراف، فخطابات الشيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه تخفَّفت من أفانين اللغة والبلاغة، وهذا التساوي في الاستعمال اللغوي من شأنه إثارة العواطف، وهو ما

[١] استخدم الباحث في الدراسة مصطلح المستقبل وليس المتقبل أو الجمهور ذلك أن مصطلح المستقبل استقر في الدراسة ليشير إلى المصداقية التي يتمتع بها الخطاب السياسي لقادة الامارات العربية المتحدة منذ الشيخ زايد رحمه الله وتقبّله من جانب ابناء الشعب والتفاعل معه بصدق وانتماء جراء ثبات برهان خطاب القيادة من جهة، ومن جهة أخرى اقتناع ابناء الشعب الاماراتي به .

عزّز قيم الولاء والانتماء عند أبناء الشعب الإماراتيّ؛ "فحين يتقوّى الجانب العاطفيّ يقترب الخطابُ من الحجاج وينأى شيئاً فشيئاً عن الحاجة للبرهنة"[١]، ذلك لأنّ لغته متساوقةٌ مع سياقها الوجوديّ، ومضامينها تُكتَسب من خلال علاقتها بمَراجعها التي تحيل إلى مضمون الاتّحاد والحفاظ عليه وصونه. "فقد عُرف عن المغفور له بأنّه كان خطيباً مفوَّهاً فصيح اللّسان، استطاع من خلال رؤيته الحكيمة التي دائماً ما كانت تستند إلى قيمٍ أخلاقيّةٍ ساميةٍ، وأسسٍ قياديّةٍ ملهِمةٍ"[٢] تبثّ روح الأخوّة الإنسانيّة والتّماسك بين أفراد شعب دولة الإمارات العربيّة المتّحدة.

**٢ – الكفاية التداولية:**

امتلك الشيخ زايد طيّب الله ثراه كفايةً تداوليّةً جعلته من أكثرِ الشّخصيات المؤثّرة، والتي يمكنها الوصول بسهولةٍ لعواطف متلقّي خطابه، لا سيما شعبه، ولعلّنا نقصد هنا بالكفاية التداولية[٣] عند الشيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه هي ملكته غير اللغويّة الّتي جعلته قادراً على التواصل بصورةٍ طبيعيّةٍ مع الآخرين، وذلك نظير قدرته على التوسع في الخطاب نتيجة معارفه المتنوعة، فقد كان كثيراً ما يركن في استدلاله إلى معارفه وتجاربه السابقة، وإلى معرفته بعلوم القبائل العربية في منطقة الساحل وداخل الجزيرة العربية، وكذلك بمجتمعه وبتاريخه وعاداته وتقاليده وبقيمهم وأخلاقهم وطبائعهم...، وهو ما جعل خطابه منطقيّاً غيرَ مجازيّ؛ فلم يركن إلى البلاغة التحسينية التي تجعل من المجاز والاستعارة مطيّةً يستخدمها البعضُ في تجميل

[١] الولي، محمد، **مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان**، عالم الفكر، ع٢، مج 40، أكتوبر–ديسمبر، ص 16.

[٢] **كلمات القائد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان**. أبو ظبي، دائرة الثقافة والسياحة، دار الكتب. ٢٠١٨. ص ٥

[٣] لموادن، حسن، **بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصوّر نسقي لبلاغة الخطاب**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. عمّان الأردن، الطبعة الرابعة، 2014. ص 53.

الحقائق أو إخفائها، فقد كان طيّب الله ثراه يتحرّى الصّدق والدّقّة والإيمان في خطابه، لأنّه كان يدرك محيطَه الاجتماعيَّ، ومنه يمكنه أن يشتقّ معارفَ جديدةً يستعملها في إنتاج إرشاداتٍ ونصائحَ يسهُل تلقّيها وتأويلُها.

كما كان طيّب الله ثراه يشدّ دائماً من همّة أبناء شعبه، فيستنهض هممهم بكلّ ما يملك من خبراتٍ، مستنداً بذلك على مخزونه المعرفيّ من التّراثَين العربيّ والإسلاميّ. وقد كان يعرف طيّب الله ثراه ما يريد أن يقولَه؛ لأنّه كان يملك خطّته وأهدافه بشكلٍ واضحٍ، ويعرف الطّريق إلى المستقبِل، "حيث معرفةُ النّاس ستعني معرفةً بطبقات النّاس وبخلفياتهم، لذا كان دائماً يَصيغ خطابه متناسقاً متساوقاً مع المتلقّي"[١]، وفق مناخٍ نفسيٍّ ملؤه المحبّةُ والتّسامح والودّ، فخطاباته –طيّب الله ثراه تعالى– مرتبطةٌ بما هو دينيٌّ واجتماعيٌّ، فيحمل تلك القيمَ التي كان وجودها سبباً مهماً من أسباب نجاح الاتّحاد بين الإمارات السّبع.

لقد أكسب المغفورُ له زايد بن سلطان –طيّب الله ثراه– أبناءه تلك الصّفاتِ والقيمِ النّبيلة التي اقتدى بها كلُّ الشّيوخ والقادة والأبناء، وصارت سمتَ المواطن الإماراتيّ وعلامتَه المائزة، وليس أدلّ على ذلك من الانتقال السلس والهادئ للسلطة بعد وفاة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيّب الله ثراه عام 2004، وكذلك انتقال السلطة للشيخ محمد بن زايد آل نهيان حفظه الله وأبقاه عام 2022. فما زال الشّيخ زايد بن سلطان إلى يومنا هذا قدوةً حسنةً ونموذجاً أعلى في تشكيل الخطابات وفي رسم السّياسات، وصار ملهِماً لكلّ أبناء الوطن في بناء الذّات وتنمية قدراتها.

## ٣–الشّيخ محمّد بن زايد –حفظه الله ورعاه– وديمومة الخطاب الإنسانيّ:

[١] " أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر**. تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت. لبنان، 1986. ص 29 .

بفضل ذلك التأسيس، وبفضل هذه السّمة البارزة والخاصّة بقادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة استهلّ سيّدي الشّيخ محمّد بن زايد آل نهيان أُولى خطاباته السّياسية برسالةٍ تضامنيّةٍ للدّاخل الإماراتيّ وخارجِه على حدٍّ سواء، فقد شدّد فيها على وحدة الصّف، وعلى الاستمرار في نهج البناء والتّطوير، وعلى التّمسك بثقافة التّعايش والتّعاضد فقال حفظه الله وسدّد خطاه وأيّده:

**"واليوم ونحن نرى وطننا بين دول العالم كما أراد زايد والمؤسِّسون رحمهم الله جميعا من مكانةٍ عاليةٍ، دولةً قويةً ومتطورةً..."**

لقد ذكرنا آنفاً أنّ الصّفات الأخلاقيّة والاجتماعيّة للمتكلّم –وهو ما رأيناه واقعاً في خطابات الشّيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه– من شأنها تعزيزُ فرص نجاعة الخطاب، عبر رفع مستوى الإقناع والتّأثير في الآخرين، وذكرنا أيضاً أنّ خطابات الشّيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه كانت تأتي في مقام الإيصاء (الوصية)، فتكون مشفوعةً بالفطرة الّتي نشأ عليها طيّب الله ثراه وبالثّقافة الدّينية والمعرفة في التّراث العربيّ وتاريخ المنطقة وقبائلها، وللبرهنة على مدى فاعلية وصيّتة –طيّب الله ثراه– نجد التّجاوب الكبير والصّدى الواسع الذي ما انفكّ كامناً في خطابات قادة دولة الإمارات حفظهم الله، فقد تجلّى هذا البعد منذ أوّل خطابٍ لسيّدي صاحب السّموّ الشّيخ محمد بن زايد –حفظه الله ورعاه، فخطابه ذاك احتوى على عناصرَ تُبرهِنُ على هذا التّجاوب من قبله –حفظه الله– بوصفه أحد (الموصَى لهم)، وهو ما حقّق حتى اليوم تواصلاً مستمرّاً ضمن دائرة تلقٍ "تَحقَّقَ صمودُها نتيجةً لمناسبتها للمتلقّين الحاضرين والغائبين والمتعاقبين"[1]، وذلك يعني لنا ديمومة الخطاب التّضامنيّ الّذي أرساه المغفور له المؤسس زايد بن سلطان آل نهيان، ويصونه اليوم صاحبُ السّمو الشّيخ محمّد بن زايد حفظه الله تعالى.

[1] التجكاني، خالد عبد العزيز ، **بلاغة الوصية. مقاربة بلاغية حجاجية**، دار الرافدين، بغداد. شارع المتنبي، ط١، 2021. ص 196

ولقد جاءت خطابات نجل الرّاحل الكبير صاحب السّمو الشّيخ محمّد بن زايد على ذات النّسَق؛ تستمدّ سلطتَها الخطابيّة من ذات الكفايات التّداولية، التي تشمل المعرفة العميقة لدى سموّه في التّراثين العربيّ والإسلاميّ، وبتاريخ المنطقة وتضاريسها، وهو الّذي خبِرها حين كان القائد الأعلى للقوّات المسلّحة في الدّولة، وأيضاً معرفته الواسعة بعلوم الأنساب والقبائل وبالعادات والتّقاليد... وكذلك من خلال كفاياته الأدبيّة واللغوية ومن معرفة سموّه بالشّعر العربيّ الأصيل؛ إذ لم تستند سلطتُه الخطابيّةُ على المكانة السّياسية فقط، فاستمرّ –حفظه الله– ينوّع في شكل خطاباته ليأتي معظمُها على شكل وصيّةٍ تحمل استراتيجيّةً تضامنيّةً قبل أن تكون توجيهيّة أو إقناعيّةً أو تلميحيّةً؛ وذلك لأنّها ترنو للمستقبِل الّذي كان الحاضرَ الأبرزَ في فحوى خطابه، وقد عدل سموُّه عن الحديث حول الماضي الذي طُوِيَ في غِبّ خطاب الاتّحاد المنجز، لصالح توجيه الخطاب نحو المستقبَل، والحرص على دعم الشّباب وتمكين البنية التّحتيّة المدنيّة والعسكريّة.

## ٤–تشابه استراتيجيات الخطاب لدى الشيخ زايد بن سلطان – طيّب الله ثراه– والشيخ محمد بن زايد –حفظه الله:

ما انفكّت خطابات الشّيخ زايد –طيّب الله ثراه– تشكّل القدوة الحسنة والنّموذج الّذي يُهتدَى به، حتّى باتت أيقونةً لقيم النُبل والسّماحة والخلق الكريم، وما استدامةُ هذه الاستراتيجيّة الخطابيّة من خلال اتّباع الشيخ محمد بن زايد –حفظه الله– رئيس الدولة ذاتَ الاستراتيجيّة التي اتّبعها المغفورُ له إلّا دليلٌ واضحٌ على نجاعة الخطاب التّضامنيّ وتحقيقه الإقناعَ المنشود، فثمّة تطابقاتٌ واضحةٌ بين أسلوب الخطاب الذي يقدّمه حفظه الله الشيخ محمّد بن زايد آل نهيان وخطاب والده المغفور له الشّيخ زايد من حيث اللغة الطّبيعية غير المصطنعة والتي لا تتّخذ من التّشبيه والاستعارة أدواتٍ ووسائلَ من شأنها تعقيد الخطاب وعدم تقبّله، فغالباً ما تكون خطاباته عفويّةً تلقائيّةً تركن للرّمسة الإمارتيّة أكثرَ من اعتمادها على الفصيحة المقعّرة، وتأتي طبيعيّةً وقريبةً

حين يكون أبناءُ الشّعب ولا سيما الشّباب[١] هم المتلقّون للخطاب، فالتّأثير ما انفكّ مبنياً على برهانٍ تمثّلَ في إنجاز الاتّحاد الّذي بات برهاناً قارّاً وحاسماً، وقد اعتَمد –وفقاً لشكل العلاقة بين طرفي العملية التّخاطبية– الاستراتيجيّةَ التّضامنيّة نفسَها أيضا، حيث تُظهِر الاستراتيجيّة التّضامنيّة رغبةَ المُرسِل أو الخطيب في التّنازل عن سلطته السّياسية لصالح سلطةٍ أخلاقيّةٍ تُحقِّق الاقناعَ بقوّةٍ ناعمةٍ تستنهض المحبّة والمودّة والتّسامح.

لقد حقّقت الاستراتيجيّة التّضامنيّةُ المعتمَدة في خطابات الشّيخ محمّد بن زايد آل نهيان –حفظه الله– والّتي ورِثها عن والده المؤسّس الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان –طيّب الله ثراه تعالى– تواصلاً ناجحاً جرّاء عدم مراعاتها المستوى اللغويّ فحسب، بل والمقام الخطابيّ بكافّة ظروفه وعوامله السّياقية، فكشفت هذه الاستراتيجية عن حجم التّخلّق والتأدّب والتّواضع أثناء توجيه الخطاب لمستقبليه، فقد بُني الخطاب وفق غايات أخلاقيّة ظهرت أثناء الخطاب، من مثل:

- تأسيس الثقة بين القيادة والشّعب بعد نجاح مشروع الاتّحاد الذي جعل الشّعب مصدّقاً ومؤمناً بطرح القيادة النّاجح.
- إظهار الوجه الحسن[٢] بقصد إشاعة التّحبب والقرب من المستقبِل وطمأنته أثناء تلقّي الخطاب وتأويله عبر تقمّص[٣] لهجته والتّماهي مع موقع تلقّيه، وهذا ممّا يوحي للآخر أنّه يمكن له تمثّل السلطة الّتي تشاركه وتقرّبه عبر اعتماد شكلٍ خطابيٍّ غيرِ سلطويٍّ، فهذا التّواضع والتّخفّف من السّلطة يحقّق انتساباً حقيقيّاً

[١] انظر كلمة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، خلال حضور سموه حلقة شبابية تحت عنوان "دور شباب الإمارات عالميا" التي عقدت في مجلس زايد بقصر البحر في أبوظبي - ونظمتها الهيئة بمناسبة اليوم العالمي للشباب والذي يوافق ١٢ من شهر أغسطس من كل عام

[٢] عبد الرحمن، طه، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨. ص ١٤٨.

[٣] عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**. ص ٣١٢

للشّراكة مع الشّعب في أهدافه وقضاياه وهمومه، ويعزّز من شعور الانتماء والولاء لديه.

- اعتماد التأدّب والتخلّق في الخطاب التّوجيهيّ، وذلك لإفهام المقاصد، وتحقيق تخاطبٍ مريحٍ ومرنٍ يخلو من التّرقب والتّردد من جانب مستقبِل الخطاب، لا سيّما في الجوانب التي تتعلّق بالمستقبَل والبناء والتّطوير، وقلب العلاقة مع المستقبِل لتصبح أفقيّةً غيرَ عموديّةٍ.

ختاماً يرى الباحث أن الخطاب الإماراتي السياسي الحديث استثمر وباقتدار القوة الخطابية التي ورثها عن خطابات الآباء المؤسسين في حقبة الاتحاد بين الإمارات العربية والذي تم بفضله هذا الاتحاد بعد إرهاصات لم يلجأ خلالها لأي قوة إكراهية جبرية، فقد شكل هذا الخطاب اللّبنة الأساس للخطاب الرسمي الحديث للدولة فهو بنيتها ومرتكزها الأول، لأنه قام على التضامن والحجة العقلية والنقلية المستلهمة من قيم إنسانية نبيلة شكلت تاليا قوة ناعمة تضاهي القوة الجبرية بل وتحقق كسباً وتأييداً لا يقل أهمية عن أي كسباً آخر.

**الخاتمة/ دور الخطاب السياسي لدولة الإمارات في بناء الهوية الوطنية.**

في النهاية يمكن القول أن الخطاب السياسي لقادة دولة الإمارات العربية المتحدة يُعتبر من أهم الأدوات التي أسهمت في تشكيل هوية وطنية متجددة ومتطورة، حيث يسعى هذا الخطاب إلى تحقيق توازن دقيق بين احترام التاريخ والتراث وبين التطلع نحو المستقبل. ومما سبق يُمكن تقسيم هذا التأثير إلى عدة جوانب رئيسية تؤثر في بناء هذه الهوية الوطنية، وتكمن قوتها في القدرة على دمج عناصر متعددة في رؤية وطنية واحدة تجمع بين الإبداع والانفتاح والحفاظ على المبادئ الأساسية التي تمثل هوية الدولة.

**١. التأكيد على الوحدة الوطنية والتلاحم المجتمعي**

منذ نشأة الدولة، والقيادة الإماراتية تؤمن بأن الوحدة الوطنية هي أساس استدامة الدولة، وقد حرصت على أن يكون هذا المعنى ركيزة أساسية في الخطاب السياسي. في هذا السياق، يُبرز الخطاب السياسي أهمية التلاحم بين الإمارات السبع، وهو ما جسده المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مقولته الشهيرة: "الاتحاد قوة". هذا الشعار لا يقتصر على كونه مجرد عبارة، بل هو مفهوم عملي تترجمه السياسات التي تهدف إلى تعزيز التعاون بين الإمارات السبع في جميع المجالات، من التعليم إلى الصحة والاقتصاد. لذا، يَسهم الخطاب في تعزيز مشاعر الانتماء إلى الدولة كوحدة واحدة، ويجعل المواطن يشعر بأن الإمارات كيان واحد، بعيدا عن الفروقات المحلية بين الإمارات.

**٢. الاحتفاء بالتنوع الثقافي والعرقي**

الإمارات هي مجتمع متعدد الأعراق والثقافات، حيث يسكنها مواطنون من خلفيات متنوعة إلى جانب العدد الكبير من الوافدين. وقد نجح الخطاب السياسي الإماراتي في تحويل هذا التنوع إلى مصدر قوة وليس إلى تحدي. فالقادة الإماراتيون لا يرون في التنوع العرقي والثقافي عائقاً، بل يعتبرونه سمة مميزة تساهم في تعزيز الهوية الوطنية. يظهر ذلك في العديد من المبادرات التي تعزز من التعايش بين مختلف الثقافات والأديان في الدولة، مثل دعم المناسبات الثقافية والفنية التي تحتفل بتقاليد كل فئة، سواء كانت من المواطنين أو المقيمين. ويعكس الخطاب السياسي هذا التنوع من خلال التأكيد على أن الإمارات هي "موطن الجميع"، فالشعار الوطني "الإمارات للجميع" ليس مجرد لفظ، بل هو تجسيد لرؤية القيادة.

**٣. الاهتمام بالتنمية المستدامة والتطور الاقتصادي**

الخطاب السياسي لقادة الإمارات لا يقتصر فقط على تعزيز الهوية الوطنية من خلال التاريخ والتراث، بل يمتد ليشمل استراتيجيات المستقبل. فالتوجه نحو بناء اقتصاد قائم على الابتكار والتكنولوجيا الحديثة يُعتبر من العناصر الرئيسية التي يعزز بها القادة

الإماراتيون الهوية الوطنية. في هذا الصدد، يُستثمر في مشروعات وطنية ضخمة مثل "مدينة مصدر" للطاقة المتجددة و"مسبار الأمل" لاستكشاف المريخ، وكذلك استثمارات في التعليم العالي والبحث العلمي. وهذا لا يعزز فحسب من تقدم الدولة، بل يعزز من شعور المواطن بالفخر ويجعله جزءاً من بناء مستقبلٍ جديد يعكس هوية وطنية متطورة تتسم بالحداثة والابتكار.

**٤. الحفاظ على التراث الثقافي والهوية التقليدية**

على الرغم من سعي الإمارات نحو الحداثة، فإن الخطاب السياسي لا يغفل الدور الأساسي للتراث الثقافي في بناء الهوية الوطنية. فالإمارات تعتبر أن الحفاظ على التراث والعادات الشعبية ليس مجرد واجب تاريخي، بل هو جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية التي تحدد من نحن. وتُبرز القيادة هذا من خلال فعاليات ثقافية مستمرة تحتفل بالتاريخ الإماراتي، مثل مهرجان "الجنابي" (الرمز الإماراتي) و"العيالة"، وغيرها من الفعاليات التي تحيي التراث العربي الإماراتي. كما يتم التأكيد على تعليم الشباب الإماراتي عن تاريخهم وحضارتهم من خلال المناهج التعليمية والأنشطة الثقافية، مما يعزز وعيهم بأهمية المحافظة على الهوية الثقافية وسط التغيرات الحديثة.

**٥. تعزيز دور الإمارات على الساحة الإقليمية والدولية**

من جانب آخر، يساهم الخطاب السياسي في تشكيل الهوية الوطنية من خلال التأكيد على دور الإمارات المحوري في الساحة الدولية، وقدرتها على التأثير الإيجابي في مختلف القضايا. فالقيادة الإماراتية، تحت إشراف حكامها، تسعى بجد لتوسيع نطاق حضور الدولة في العالم من خلال تبني سياسة خارجية نشطة تركز على التسامح والسلام والمساعدة الإنسانية. وهو ما تجسد في العديد من المبادرات التي تروج لمفهوم "التعايش السلمي" من خلال مؤتمرات دولية ومبادرات مثل "عام التسامح". كما يعكس الخطاب السياسي في هذا السياق دعم الدولة للقضايا العالمية مثل مكافحة التغير المناخي ودعم التنمية المستدامة، مما يعزز من الهوية الوطنية كمكون رئيسي من المجتمع الدولي الملتزم بالقيم الإنسانية.

### ٦. استثمار الشباب والمواطنين في بناء الدولة

الخطاب السياسي في الإمارات يعترف بأهمية دور الشباب في مستقبل الدولة، ويعتبرهم القوة المحركة لتطوير المجتمع. القادة الإماراتيون يعملون على تحفيز الشباب للمشاركة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. يُشجَع الشباب على الإبداع والابتكار، ويتم توفير لهم الفرص لتحقيق ذلك من خلال برامج وطنية تهدف إلى تطوير المهارات وبناء القدرات. هذا الاستثمار في الشباب لا يعزز فقط من الشعور بالانتماء إلى الوطن، بل يعكس رغبة القيادة في بناء جيل قادر على قيادة الإمارات نحو المستقبل.

### ٧. النهوض بالمواطنة الفاعلة والمسؤولية الاجتماعية

أحد الأبعاد المهمة في الخطاب السياسي الإماراتي هو التأكيد على مفهوم المواطنة الفاعلة. فالدولة تشجع على المشاركة المجتمعية والمساهمة في تطوير الحياة العامة من خلال برامج متعددة تهدف إلى إشراك المواطن في مختلف المجالات من التعليم إلى الصحة إلى البيئة. هذا الخطاب يهدف إلى تعزيز المسؤولية الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويحث المواطنين على العمل معاً لبناء مجتمع مستدام وأكثر رفاهية.

في الختام، فإن الخطاب السياسي لقادة دولة الإمارات يلعب دوراً رئيسياً في تشكيل هوية وطنية متكاملة، تقوم على مبادئ الوحدة والتسامح والابتكار. من خلال هذا الخطاب، تخلق القيادة الإماراتية شعوراً عميقاً بالانتماء إلى وطن يتسم بالقوة والتقدم والتنوع، ما يجعل الهوية الوطنية الإماراتية واحدة من أكثر الهويات تأثيراً في المنطقة والعالم.